sayı 67
الحرمل
Her Daim Özgürlük
السنة الرابعة/ العدد 67/ 15 تشرين الأول 2017
الحريـــة دائمـــاً
WWW.ALHARMAL.COM
Alharmal Dergisi
Kültür - Siyasi - 15 günde bir
مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

الرقة من السور إلى الصور..
تاريخ وقيامة..!

بسام البليبل

الرقة تاريخ طويل من التألق والنكبات، في ألفياتها الممتدة عبر العصور، ولكنها في كل مرة وطأتها سنابك الغزاة، والتهمت أسوارها نيران أحقادهم، كانت تنهض من رماد احتراقها كالعنقاء، لتبني حاضراً جديداً مليئاً بالأمل والطموح والتسامح.

ولكن ما يحدث للرقة اليوم من تدمير شامل على يد قوات التحالف الدولية بقيادة أمريكا وأجرائها القسديين، يدخل في شمول الجرائم الدولية، ويعتبر خرقاً لكل الأعراف والمواثيق، الأمر الذي يحمل المجتمع الدولي المسؤولية الأخلاقية والإنسانية عن صمته، وسماحه باستمرار المحرقة.

ويحمل أمريكا ومن معها، المسؤولية القانونية (الجزائية والمادية) عن هذه الأفعال الفاضحة والهمجية غير المبررة.

لم تكن الرقة طرفاً في صراع دولي، ولم تسع لامتلاك الذرة، ولم تعمل على تهديد الأمن والسلم الدوليين، لتلقى هذا الجزاء، وتتعرض لهذا التدمير المنهج.

لقد كان ذنبها أنها رفضت التهميش والإذلال، وطالبت بالحرية والمساواة، فعاقبها نظام القهر الأسدي ثلاث مرات...

المرة الأولى، عندما قصفها بالمدفعية الثقيلة والطيران، وبمؤازرة روسية، فدمر وقتل ما شاء له القتل والتدمير..

والمرة الثانية، عندما عمل على إخراجها من سوريتها بتسليمها لمن يتكفل بتدميرها وقتل أبنائها نيابة عنه، فكانت خطة شيطانية، نفذت بعناية، وبإشراف دولي، حيث تحولت الرقة ما بين غمضة عين وانتباهتها إلى عاصمة لتنظيم قادم من وراء التاريخ، جلل الرقة البيضاء بالسواد، عندما حكمها بفكره الظلامي، وأدارها بقانون التوحش، وقتل أبناءها بشرعة محاكم التفتيش.

أما المرة الثالثة، عندما قررت الإمبريالية العالمية الجديدة، إنهاء دور داعش، الذي قام بما يتوجب عليه، فكان لا بد من الإعلان عن انتصار أمريكي يليق بزعامتها الكونية، في حربها العالمية الرابعة، التي صورتها حرباً ضد الإرهاب التي أرادته إسلامياً، وأنه صراع حضارات.

بعد أن انتصرت في حربها العالمية الثالثة، وصراعها الأيديولوجي مع الاتحاد السوفييتي. ليستمر الحلم الإمبراطوري الأمريكي والقطبية الواحدة.

إننا نقول إنها حرب عالمية، لأن ما تعرضت له الرقة من تدمير لم يكن أبداً في سياق تحرير مدينة مختطفة من تنظيم إرهابي، وإنما في سياق تدمير شامل متعمد لمدينة عدوة، يشبه إلى حد بعيد تدمير مدينة درسدن الألمانية وهيروشيما اليابانية في الحرب العالمية الثانية.

لا شك أن تدمير الرقة يدخل في مخطط التدمير البنيوي والوظيفي لسوريا التي يسير بها النظام إلى حتفها كدولة، ليعزف لحن انتصاره النيروني على أنقاضها.

ولأن الحرب ليست أسوأ ما نواجهه اليوم، وإنما اليأس والاستسلام لنتائجها المدمرة..

فإن سوريا بمدنها الأقدم في التاريخ، وبعزيمة أبنائها وتكاتفهم، الذين سينفخون في صور قيامتها الجديدة... لن تستسلم لطاغية الشام، ولا لعملية الإخضاع الأمريكية الروسية، وستقاوم خطة المجرمين تقاسم النفوذ على أرضها، ومخططات الفدرلة، ومناطق الحكم الذاتي..

وستحاسب برابرة العصر ومرتزقتهم بمنطق القانون الدولي، وستسألهم عن حقوقها، وحقوق من استشهد من أبنائها، وما دمر من بنيانها، مهما طال الزمن.

الرقة بين القتل والتهجير..!

خروج آمن للدواعش من الرقة برعاية أمريكية

الحرمل - خاص

أكثر من ألف وخمسمائة شهيد مدني استطعنا توثيقهم في مركز توثيق الحرمل، قتلوا بطيران التحالف الدولي، ومدفعية قوات سورية الديمقراطية وقناصة داعش وقسد، وفيهم من مات غرقاً أو بالألغام المزروعة على أطراف الرقة، فيما تقدر مراكز التوثيق، وصفحات الناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي أن عدد المدنيين الذين قُتلوا في الرقة يتراوح ما بين الألفين إلى ثلاثة آلاف مدني.

كان من الممكن أن توفر قوات التحالف الدولي موت هؤلاء الضحايا باتفاق مع قوات داعش، تضمن خروجهم، وتجنب مدينة الرقة الدمار وهذا القتل غير المبرر، كما تفعل الآن وهي ترعى اتفاقاً بين قوات سورية الديمقراطية وداعش، تضمن فيه خروج الدواعش باتجاهين إلى منطقة السبينة في ريف دمشق وإلى ريف دير الزور الشرقي، وتحت حجة تجنيب المدينة من الدمار وخروج آمن لمن تبقى من المدنيين وهي، وأعني هنا، قوات سورية الديمقراطية وحليفها التحالف الدولي دمر الرقة بنسبة تصل إلى 100% للبنى التحتية، ودمار المساكن والأبنية والأسواق بنسبة تتجاوز 70%.

الخارجون من الرقة كما الخارج من جحيم الموت الأسود، وما بين امرأة تصرخ، وأخرى تشير إلى أمها، وأخرى تعانق أمها أو شقيقتها، وعدد كبير من المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة، وكأنهم في ولادة جديدة ونحو حياة فيها بصيص أمل، ومع هذا الخروج الذي يشبه يوم القيامة، كانت الحافلات تحط رحالها في أطراف المشلب شرق الرقة وشمالها في قرية الأسدية وغربها في منطقة حاوي الهوى لنقل الدواعش السوريين، فيما تشير الأنباء أن المهاجرين من الدواعش (الأجانب) رفضوا الخروج، أو رفضت أمريكا خروجهم، بينما ما زالت الأخبار تؤكد أن فلول من قوات داعش ما زالت تشتبك مع قوات قسد في محيط الملعب البلدي ودوار الدلة وحارة البدو، بالتزامن مع تفجير بعض المفخخات في هذه الأماكن.

وحسب ما أورد عدد من الناشطين أن هذه الاشتباكات هي عمليات مدروسة للتغطية على انتقال الدواعش إلى خارج الرقة، لكن المشكلة في الأمر كيف تسمح قوات التحالف الدولي ومن خلفها قوات قسد بإخراج الدواعش مع المدنيين الذين اتخذوهم دروعاً بشرية، وهذا الإجراء يعد انتهاكاً غير مبرر لحقوق الإنسان، وهو جريمة حرب جديدة ضد أهلنا في الرقة.

منذ خمسة أيام، والتفاوض قائم بين وجهاء عشائر الرقة ومجلس الرقة المدني الذي تشرف عليه قسد وترعى خطواته أمريكا التي تقود التحالف الدولي، وهي منذ بدء المفاوضات قامت بإخراج الإعلاميين والمراسلين الحربيين من مدينة الرقة، لتقول إنها خارج هذه الاتفاقات فيما هي ترعاه وترسم خطواته، وكان من الممكن أن تجنب الرقة كل هذا القتل وهذا الدمار منذ انطلاق ما سمته معركة تحرير الرقة منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

حال أهل الرقة في المخيمات التي نصبوها في عين عيسى وأطراف الكرامة ورأس العين ومحيط بحيرة سد الفرات، يؤكد أنهم ليسوا في الوارد الإنساني، فلا الغذاء ولا الدواء يقدم بالحدود الدنيا، فالمعاناة تكبر يوماً بعد يوم، فيما تتوسع سجون قسد لاحتواء المزيد، وأيديهم تصل إلى حدود تجنيد الشباب في أتون معركة لا خيار لهم فيها إلا الموت.

اعتماد أهالي حمص على «الجلّة» وفرص عمل جديدة

حمص ـ علي عزالدين

يعمل أهالي ريف حمص الشمالي على تخفيف الحصار المفروض عليهم منذ أربع سنوات، والذي بلغ ذروة قسوته الأعوام الماضية في الثورة، وتحضيراً لهذا الفصل قام أهالي الريف بتجهيز مادة «الجلّة» مما أتاح أيضاً فرصة عمل للأهالي بعد ستة أعوام من الحصار على الريف الشمالي لمحافظة حمص، وتعرض الريف لقصف عنيف وتهجير وتجويع للمدنيين لجأ أهالي الريف الشمالي لأساليب بدائية تساعد السكان على الظروف المعيشية الصعبة، ما أدى لانعدام المساحات الحراجية وتصحر المناطق المشجرة في الريف بسبب حاجة السكان لمادة الحطب، واعتمادهم عليها في الأعوام المنصرمة بعد غلاء المحروقات، وعدم توفرها فقاموا بكسر الحصار باختراعات عجيبة ومنها «دولاب الهواء» لتوفير الطاقة الكهربائية، واستخراج المياه من الآبار وقاموا باختراع «التنكة العجيبة»، أيضاً لطهي الطعام وباقي الاستخدامات اللازمة عوضاً عن الغاز وحتى هذه الاختراعات كان لها دور في توفير فرص العمل.

«أبو عماد» من سكان مدينة الرستن تعرض منزله للقصف واضطر للنزوح بعائلته لمزارع المدينة يقول «أبو عماد» إنه يقوم بصناعة «الجلة» من روث الحيوانات وتحضير ما يلزمه لتدفئة عائلته في فصل الشتاء، حيث تمتاز المنطقة بشتاء بارد جداً، وتحتاج لكمية كبيرة، خصوصاً أنه يسكن في مزرعة ولا يملك أي عمل بعد سنين الثورة والحصار المفروض، ويعاني من ظروف معيشية قاسية، وبعد نجاحه قام أبو عماد هو وعدد من الشبان بإنشاء ورشة عمل لصناعة الجلّة حسب طلب الأهالي بأسعار رمزية تساعدهم في تأمين قوت يومهم.

علماً أن مادة الحطب التي كان الناس يعتمدون عليها اعتماداً تاماً أصبحت الآن حلماً يراود أبناء الريف المحاصر بعد تقلص المساحات المشجرة وانعدامها كلياً كما بقيت المحروقات حلمهم المسلوب بسبب الحصار واحتكار بعض تجار المعابر وتحكمهم بأسعارها وفرض الخوة عليها.

يذكر أن المحروقات يتم إدخالها عن طريق المعبر الواقع في منطقة الدار الكبيرة الخاضعة لسيطرة المعارضة ويتم فرض مبلغ يصل إلى نحو ٣٠% من قيمة المواد الداخلة لتكون هذه المبالغ من حصة عناصر النظام والشبيحة الذين يسيطرون على المنطقة من حين إلى آخر.

من جانبه أكد لنا الأستاذ «عبد الله» أحد الناشطين الإغاثيين أن الجمعيات والمنظمات الإغاثية والإنسانية تقوم بتقديم خدمات ومساعدة المحتاجين بمواد التدفئة عادة ولكنها بالمجمل لا تكفي حاجة السكان والنازحين.

الجدير بالذكر أن الريف الشمالي محاصر حصاراً خانقاً من كافة الجوانب إن كان من قبل قرى ومناطق موالية أو قطع عسكرية ويقبع في ظل هذا الحصار ما يقارب ٣٠٠ ألف مدني من مدينة الرستن وتلبيسة والحولة وباقي قرى ومدن حمص الذين نزحوا بعد التهجير القسري أو الاتفاقيات المفروضة.

القصف وسور الرقة ومصطفى الحسون

إبراهيم العلوش

ما الذي يحدث لأهلنا الباقين في الرقة، ما الذي يحدث لبيوتنا، ولآثار مدينتنا، ما الذي يحدث لموتانا وهم ينصتون إلى القصف الذي يهز عظامهم، ويجعل التربة تحتهم تكتم ألمها، وتدفن صمتها عميقاً في قلب الأرض.

القصف يتوزع بعدل على كل ذكرياتنا، وعلى أماكننا التي عايشناها، ويقتل ما يريد من أرواح أحبتنا، وأهلنا الذين أصروا على البقاء ليحموا ما تركناه من أثر، ومن بيوت، وشوارع وذكريات.

ما الذي يقوله الموتى في مقبرة حطين، وفي مقبرة تل البيعة، وكيف يتجمعون مذعورين في قبورهم، مذعورين خوفاً علينا وليس خوفاً على ما تبقى من عظامهم التي ترفض الانحلال، وتصمد للدهر، ولتقلباته التي تطاردهم اليوم بالقصف وبارتجاف الأرض تحتهم، إنهم خائفون على أبنائهم وأحفادهم وعلى أحفاد أحفادهم.

ما الذي يفكر به جدث مصطفى الحسون مثلاً، حتماً إنه يفكر بآثار الرقة، وبسورها أكثر مما يفكر بذويه وبأحفاده، وكأني به وقد وقف على حدود المقبرة، وعند آخر نقطة مسموح له أن تطأها عظامه، وهو يحاول أن يتسقط الأخبار، ويتصور حالة السور، وحالة قصر البنات، وحالة القصور العباسية التي قضى العمر في حراستها والتغني بها.

الأنباء تتحدث عن قتل جماعي للعائلات الأب، والأم، والأولاد، والبنات، والجدات، والجيران، ومن جاء منقذاً في اللحظة الأخيرة، وتتحدث نفس الأنباء عن قتل الأمل وهدم البيوت، والمدارس، والمباني العامة، والكليات الجامعية.

الأنباء تتحدث عن تحريم شرب ماء الفرات، الذي صار حلماً للظامئين، وحلماً للهاربين على موجاته التي تحملهم إلى شاطئ آخر أخف ظلماً وأقل قهراً ولو إلى حين.

كان مصطفى الحسون يخرج من بيته قبل الفجر، ويذهب إلى السور، يتصيد سارقي ترابه الأحمر الذي يصلح لبناء البيوت، وكانت تُسمع صيحاته، وكلماته التي يلثغ بها. منذ زمن طويل كان مصطفى الحسون كائناً تاريخياً، أكثر منه كائناً واقعياً، وفي أحسن الأحوال فهو مزيج متناصف من التكوينين، إنه يشبه تماثيل وادي الفرات التي تجمع رأس الإنسان بجسد الحصان، أو بجسد الأسد.. جسد الأسد الفراتي، وليس الأسد الذي تحول على يد حافظ الأسد وابنه إلى جرذ سام يدمر البلاد ويعتقل الشباب..

وكان أولاد مصطفى الحسون من ضحاياه الذين طالما رثاهم في قصائده التي يفرغ لنظمها بعد عودته من حراسة السور، أو من القصور العباسية، أو من المتحف الصغير الذي كان يديره.

سور الرقة كما تقول الأنباء قد هدمت أجزاء كبيرة منه، لأسباب تكتيكية، ولتسهيل الاقتحام كما تقول قوات قسد وطائرات التحالف، ولأسباب دينية وجهادية كما يقول الدواعش.. الدواعش الذين انهارت هيمنتهم، وتكدرت حياتهم التي كانت هانئة في الرقة، حيث كانوا يستمتعون فيها بالبيوت المنهوبة، وببيع المسروقات واغتصاب السبيات..

الأرض تميد تحتنا، وتحت مدينتنا، وتحت موتانا، وتحت تاريخنا السحيق، وغير السحيق، إننا جميعاً في محنة كبيرة تحتم علينا الخروج منها بأي ثمن، ومهما كانت خسائرنا من شهداء، ومن بيوت، ومن تاريخ، ومن فتاوى، ومن أطراف جرحانا... لا بد من الخروج من هذا النفق الطويل المظلم، الذي أرهقتنا تعرجاته وابتعدت عنا نهاياته.. إننا ننتظر لحظة الفرح بالخلاص، إننا ننتظر لحظة انبثاق الضوء على الغبار الأسود الذي غطى وجوهنا وتاريخنا وكل وجودنا!

حينها لا بد للرقة من مصطفى حسون جديد يحرس سورها وآثارها، لا بد للرقة من شباب جدد يحرسون وجودها، ويعبرون الهزيمة والدمار، والخسائر، إلى وجود جديد، وحياة واعدة، وأمل يُزرع في النفوس الحزينة، ويُعيد أشجار الجوري إلى أسوار بيوتها، ويسرق العشاق أزهارها الحمراء، والبيضاء، والصفراء، والبرتقالية، لحبيباتهم المنتظرات بقلق على الشرفات القريبة.

إقليم الجزيرة والنفوذ الأمريكي المباشر

خلف الجربوع

حيدت التفاهمات الروسية الأمريكية حول سورية مفهوم الاحتلال من شرعة الأمم المتحدة، وما يرتبه القانون الدولي من التزامات على المحتل، واعفائهما من كلفة إعادة إعمار ما تسببا في تدميره، مع إطلاق يد غير مشروطة في إدارة مناطق (تخفيض التصعيد) والإشراف عليها من خلال قوى محلية تنفيذية في الضبط والسيطرة الأمنية، وأعتقد أن هذه المرحلة لن تطول كثيراً، لأنها مرحلة تمهيدية للمرحلة الأهم، مرحلة تكريس نتائج مرحلة العنف (تهجير – تدمير – إرهاب – فرز القوى وتصنيفها - تغيير ديموغرافي - نفوذ واقعي للقوى المتصارعة الدولية وأدواتها التنفيذية ..الخ)، ولأن هذه المرحلة تحتاج إلى وقف إطلاق نار شامل بدأت ملامحه ترتسم مع نهاية المرحلة الأولى من القضاء على داعش أو طردها، وعقلنة التشكيلات الإسلامية وتفكيك النصرة تمهيداً للقضاء على من يبقى مرتبطاً بالقاعدة (كُلفت تركيا بهذا الدور)، وبسبب التعقيدات وتشابك المصالح الدولية وتناقضها تم الركون إلى تفاهمات دولية (غير نهائية) مرحلية في تقسيم النفوذ بحيث تكون الدول الكبرى والإقليمية الفاعلة على الساحة السورية مسؤولة أمام بعضها بخصوص تهيئة الظروف، والمناخات الملائمة في أقاليم نفوذها التي رُسمت مبدئياً تحت مسمى مناطق خفض التوتر أو التصعيد، للانتقال إلى مرحلة الحل السياسي الشامل وإنهاء مرحلة جنيف التي أدارها دي ميستورا بشكل بارع خالقاً البيئة المناسبة للقبول بمرحلة الحل السياسي التي ستكون نتيجة نهائية للتفاهمات الدولية في سورية، هذا التفاهم الذي سترسم من خلاله خرائط المصالح والنفوذ وشكل دول الشرق الأوسط المحاذية لجدار الأورال. خمسة أقاليم يشرف الروس وإيران وحلفاؤهما على ثلاث منها بشكل مباشر وهي الساحل والمنطقة الوسطى ودمشق العاصمة (ما عدا السويداء والقنيطرة التي سيكون لهما ترتيب خاص مع إسرائيل وأمريكا)، إقليم شمال حلب وإدلب وقسم من ريف حماة، وبعض جنوب حلب المدينة تحت النفوذ والاشراف المباشر من تركيا وحلفائها من التشكيلات الإسلامية (حلب المدينة وضع خاص ستراعى فيه مصالح معظم اللاعبين)، أما الإقليم الخامس الأمريكي الذي بدأت حدوده تتوضح يوماً بعد يوم مع تقدم المعارك ضد داعش في الرقة ودير الزور وجنوب الحسكة وهو أهم الأقاليم الخمسة.. لماذا؟

ليست موارده وثراوته أو مساحته هي الحاسمة في أهميته، بل المشاريع المطروحة له والمرتبطة بتركيبته القومية، وهي مشاريع ترتبط بمصالح أمريكية مباشرة في تركيا بدأت تعترضها معوقات وتعقيدات كثيرة بسبب سياسات تركية تتجه إلى مزيد من الاستقلال في قرارتها السيادية، لذلك اعتقد أن أحد أسباب غموض الاستراتيجية الأمريكية في التعاطي مع هذا الاقليم ومشكلاته مرتبط بتلك المصالح التي تحتاج إلى تفاهمات طويلة الأجل مع الحكومة التركية، ولن تتوضح الاستراتيجية الأمريكية إلا بعد هذا التفاهم (نفي الاحتمالات التي يعمل بموجبها الأمريكان في هذا الإقليم تجعل كل محتمل ممكن وغير ممكن في الوقت نفسه).

أعتقد أن الغموض الأمريكي المرتبط بعقدة التسوية بين ما تريده تركيا وما تريده أمريكا يمنحنا نحن أبناء هذا الإقليم بعض الوقت لبناء استراتيجية بدائل قابلة للتطوير تستشرف وتراقب وتدفع إلى تفاهم أمريكي تركي قبل مرحلة الحل السياسي النهائي (والتي أجزم مؤمناً بأن الأسدية لن يكون لها دور فيها)، لأن بناء استراتيجية (استراتيجية البدائل) خاصة يرسمها أبناء إقليم الجزيرة السورية، وتقوم على وحدة الاقليم (الرقة دير الزور الحسكة) يمنحهم دور لاعب قلب الدفاع عن وحدة الاراضي السورية مهما كان شكل الدولة (اتحادية أو مركزية) ويسحب كل الادعاءات التي تتخفى خلفها مشاريع إعادة انتاج حكم الأقليات (قومية – ايدلوجية) وهذا يتطلب منهم العمل مع الأمريكان والأتراك بشكل مباشر والتفاوض مع الاتحاد الديموقراطي والقوى الكوردية الأخرى والاشورية – السريانية من خلال طرح مشروع إداري وسياسي معادل لمشروع الأمة الديموقراطية لإدارة الإقليم وإعماره وتكريس العدالة والمصالحة بين مكوناته، وتمثيله سياسياً أمام الأقاليم السورية الأخرى والقوى الدولية المشرفة عليها، ونتيجة لهذا الحوار التفاوضي سيكون لهذا الإقليم عبر ممثليه في الحل النهائي دوراً مهماً، وربما الأهم في رسم الحل السياسي النهائي وشكل الدولة ودستورها وعقدها الاجتماعي.

كان يا ما كان..!

طارق عبدالغفور

عندما يكون هذا العدد قد انتهى من الطبع، تكون أعمال مؤتمر الرياض التحضيري كما وصفه السيد رياض نعسان آغا قد بدأت بعد أن تأجّلت انتظاراً لما ستفسر عنه مجريات الاحداث في ادلب، وتجري أعمال هذا المؤتمر تحت الشعار المزمن وهو توحيد المعارضة -من ضمن شعارات أخرى- استعداداً للذهاب إلى جنيف الثامن الذي يترافق عقده هو الآخر مع ما بشر به السيد ديمستورا من مستجدات هامة ستشهدها ساحة الأزمة السورية.

لا شكّ أن حال المؤتلفين لا تسرّ صديقهم وقد لا تسرّ عدوهم أيضاً، ولا ينفعهم التبرير البائس الذي يسوقونه سبباً لانعقاد مؤتمر الرياض، وهو أنه كان مقرراً من قبل، وأنهم هم الذين طلبوا من الرياض استضافته، وليست هي التي طلبت عقده، ويبدو واضحاً أن الهدف من عقده إجراء تعديلات على بيان الرياض الأول وإدماج منصتي القاهرة وموسكو مع الهيئة العليا على قدم المساواة لا على التبعية. كما لن ينفع المؤتلفين إنكارهم أن يكون وزير الخارجية السعودي هو الذي طلب منهم إجراء المقتضى لقبول الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية المقبلة، خاصة وأن مسؤولاً في الخارجية السعودية لم يؤيد الإنكار بل اكتفى بالقول إن ما نُسب إلى الوزير لم يكن دقيقاً، ويؤيد ذلك أن موقف المنصتين من الدعوة إلى حضور المؤتمر يدلّ على عدم قبولهما «الإملاءات» اعتماداً على الدعم الروسي لهما بالعلن والدعم الأمريكي من وراء الحجاب. كما يؤيد ذلك تصريح الوزيرين السعودي والروسي بأنهما يعملان بتعاون وثيق على توحيد المعارضة السورية -بدون شروط- بحسب لافروف .

ليست المشكلة في انعقاد المؤتمر، ولكنها في عملية التسويق له، فما زال المؤتلفون يرون أنه سيكون انتصاراً يُضاف إلى سلسلة انتصاراتهم التفاوضية مع السيد ديمستورا في جولات جنيف السابقات، وما زالوا يرون الأشياء كما يريدون أن يرَوها لا كما هي، وما زالوا يريدون بيع الوهم للشعب المنكوب، لا أن يضعوا الحقائق كما هي أمامه كما يفعل القادة الحقيقيون .

نعتمد في ما قلناه آنفاً على المقابلة التي أجراها السيد نصر الحريري مع العربي الجديد التي بدأها بالقول: إن الهيئة العليا قامت بدورها خلال الفترة الماضية على أكمل وجه ومارسته بكل ايجابية حتى تصل إلى حلّ، ولكن العلّة كانت في النظام وحلفائه الذين لم يأتوا إلى طاولة المفاوضات، وكانت في المجتمع الدولي الذي لم يُمارس ضغطاً عليهم حتى يشرعوا بمفاوضات حقيقية. وبعد أن نتساءل عن ماهية الدور الذي قامت به الهيئة العليا على أكمل وجه وبكل إيجابية نستطيع أن نتذكر وبكل ايجابية أيضاً حكاية جحا الذي وافق هو وأمّه على التقدّم لخطبة ابنة الملك وبقي على الملك وابنته أن يوافقا على «العريس».

سبع جولات في جنيف مع ديمستورا الذي لا يملك للمؤتلفين نفعاً، ويملك لهم ضرّاً كما نرى من حصاد سلاله الأربع، ويتحدثون عن الإيجابية وعلى أكمل وجه.

تبقى مشكلة بقاء الأسد في المرحلة الانتقالية هي المعضلة الأساسية في التوصل إلى رؤية مشتركة مع المنصتين، ذلك أن المعضلة الأخرى وهي الإعلان الدستوري يمكن تجاوزها بغير عناء، وهنا أيضاً لا يريد السيد الحريري أن يُسمّيَ الأشياء بمسمياتها، فقبل الرفض أو القبول بالجلوس مع من يقبل ببقاء الأسد يذكر التصريحات الأمريكية والغربية التي لا ترى مكاناً للأسد في مستقبل سورية، ولكنه لا يريد أن يعلم كما يبدو أيَ مستقبل يقصده أولئك أهوَ البعيد أم المتوسط أم القريب أم هم لم يبلّغوه أم هي مبادرة بدون تفاصيل، ولم تُقدّم بعد أم هو مجرد شعور يجب أخذه بعين الاعتبار أم هو خليط من كل ذلك؟؟ ولماذا لم يأتِ على ذكر موقف روسيا من انضمام المنصتين إلى وفد المعارضة؟ ولماذا لم يذكر تصريح تيليرسون الذي يضع مصير الأسد بيد روسيا وما يعنيه ذلك؟ هذا إذا لم ننسَ التراجع الخطير في الموقف الفرنسي.

أعتقد -وهل أرجو أن أكون مخطئاً- أن منصتي القاهرة وموسكو ستنضمان إلى المعارضة بدون شروط المؤتلفين، وأن جنيف الثامن -إن لم يكن مؤتمر الرياض- سيبشر ببقاء الأسد في مرحلة انتقالية، وأن المؤتلفين سيوافقون على ذلك بحجة وقف سفك دم السوريين وإنهاء معاناتهم، وهو أمر لا يمكن مطلقاً التقليل من أهميته ويستحق التضحية بالقليل وبالكثير، وسبب ذلك ببساطة أن المؤتلفين لا يملكون من أوراق الضغط ما يلعبون به لا مع القوى الدولية ولا مع القوى الإقليمية لأنهم كما قلنا في مقالات سابقة باعوا أنفسهم، وباعوا قرارهم الحر لهذه القوى التي تخلت عنهم فارتكبوا بذلك الجريمة الكبرى بحق الشعب المنكوب الذي أعتقد يوماً أنهم يمثلونه فخانوه وما زالوا يعتقدون أنهم يمثلونه .

عند ذلك سوف نحكي لأطفالنا في قصة قبل النوم فنقول: إنه كان يا ما كان في حديث العصر والأوان شعبٌ ثار يريد الحرية والكرامة فتآمر عليه أبناؤه وأشقاؤه وأبناء عمومته وساعدهم الغريب عليه، لكنه قاوم وقدّم الكثير، ولم يمت، ولم يستسلم، ومازال يطالب بالحرية والكرامة، وسوف يحصل عليهما وإن طال الطريق .

سوريا ليست مزرعة لآل الأسد..!

يوسف دعيس

لا يختلف كثيراً عصام زهر الدين في تعاطيه الإرهابي والإجرامي مع القتلة الذين أمعنوا في قتل السوريين يميناً وشمالاً، وما تصريحه الأخير الذي جاء على خلفية فك الحصار عن مدينة دير الزور، والذي يهدد فيه اللاجئين السوريين الذين خرجوا أو فروا من بيوتهم إلى دول الجوار، والذي ينصحهم فيه بعدم العودة إلى الوطن، فإن سامحهم النظام، فهو لن يسامحهم أو يعفو عنهم أبداً، وهذا ما هو إلا تأكيد صارخ على أنه مجرم حرب، ومكانه الطبيعي في محكمة الجنايات الدولية.

يتقاطع التهديد الذي أطلقه زهر الدين مع تصريحات رئيسه التي أطلقها في عدد من خطاباته، والتي أكد فيها أن سوريا وطن للذين يدافعون عنه، وليس للذين يفرون منه، وكأننا كنّا نعيش في الجنة، ولم نسمع أو نرى البراميل والقنابل والصواريخ التي كانت تتساقط على رؤوسنا في كل بقعة من بقاع سوريا، هذه التصريحات إن دلّت على شيء فهي تدل على أن الرئيس وأتباعه مجرد قتلة يمارسون هواياتهم في القتل والتلذذ بطرق الموت، ومن المؤكد أنهم ليسوا مفصولين عن الواقع، فهم يتعاملون مع معطيات الأحداث بمنطق القوة، الذي تؤيده وتدعمه روسيا وإيران، وبمساندة من الغرب الذي تقوده أمريكا، وإلا ما معنى هذه التهديدات التي يصدرها رأس النظام وتمر مرور الكرام، ولا يعيرها المجتمع الدولي بمنظماته وإنسانيته المفرطة، ولا بقادة العالم الذين يدعون ظلماً وعدواناً أنهم يدافعون عن قيم الحرية والديمقراطية.

من باب التذكير هل يستطيع زهر الدين ورئيسه أن يُخرجوا المحتل الروسي والإيراني وأتباعهم من الميليشيات العابرة للحدود من أرض الوطن، إن استطاعوا ذلك فلهم كل الحق بإطلاق التهديدات بحق من فروا من الموت إلى ملاجئ الذل، أما وهم لا يقوون على تحريك أصابع أيديهم وألسنتهم إلا بمقدار ما يريده الإيراني أو الروسي أو الأمريكي، فلغة التهديد هذه لا تقدم ولا تؤخر، وهي تؤسس في ذاكرة السوري مدى الظلم الذي يعانيه من المستبد القاتل الذي أوغل في دماء السوريين دون أي رادع.

سوريا الوطن لم تكن في يوم من الأيام مجرد فندق نقيم فيه، ونغادره متى شئنا إلى فنادق الدول المجاورة الأكثر رفاهاً، ودون أدنى شك لم نكن في يوم من الأيام ضيوفاً طارئين على الأرض السورية، أو عابرين لحدودها، من المؤكد أننا سنعود إلى سوريتنا، سوريا الذاكرة التي تعشش في العقول والصدور، سوريا الوطن الذي لا نستبدله بكل ديار الدنيا، سوريا التي لم ولن نقبل أن تكون مزرعة لبيت الأسد، ولا مجرد مقاطعة ينبح فيها زهر الدين وأشباهه من سقط الرجال في كل حين.

البرغوثة ومنظمات المجتمع المدني

عروة المهاوش

حالها كحال الدول العربية، تقفز هذه الحشرة وتثب بين النصف متر والمتر الواحد في تنقلها المستمر. نظرية البرغوثة التي قام بتجربتها عالم أميركي على مجموعة من البراغيث، حيث قام بوضع مجموعة منها في عبوة زجاجية، وبحكم غريزتها في الوثب، والخروج من هذا المكان الضيق اصطدم البعض منها بالغطاء ولقي حتفه، حين لاحظت بقية البراغيث هذه النهاية لزميلاتها أصبحت تثب بمسافة أقل من المعهود حتى لا تصطدم بالغطاء، وتلاقي نفس مصير بنات جنسها. بعد ثلاثة أيام من الحركة، والوثب أخرج هذا العالم البقية التي بقيت على قيد الحياة، وتركها في مكان فسيح جداً بالنسبة للزجاجة، لكن المفاجأة الكبيرة كانت حين لاحظ العالم أن هذه البراغيث لم تعد تثب كما كانت سابقاً في كل وثبة قبل وضعها في الزجاجة، بل وحتى حين نالت حريتها لم تتعدَ وثبتها 30 سم، وهي نفس المسافة التي كانت تقفزها في الزجاجة دون الاصطدام بالغطاء وفي النهاية الموت المحتم.

تطبيق النظرية

في عمل منظمات المجتمع المدني، والتي شاهدت النور بعد الثورة السورية اعتمد وبشكل كامل على هذه النظرية في تدريب «البراغيث» الجدد كمتطوعين للعمل فيها للحد من حرياتهم، وإخضاعهم لأسقف معينة لا يسمح لهم بتعدي الحد الذي تضعه حكومات غربية داعمة تحت مسمى «نظام داخلي» لتلك المنظمات المستحدثة. السيطرة على العقول وبالتالي الحد من الحركة ضمن هذا الإطار المحدد بات فناً للمخاتلة، وأسلوباً حديثاً للسيطرة نهائياً على الحركة التي كانت دائمة، ومستدامة لتلك البراغيث النابضة بالحياة.

1 - الإلهاء

تتخذ منظمات المجتمع المدني هذه السياسة من خلال ندوات، ومحاضرات معدة مسبقاً حيث يتخذ فيها المحاضر دور المعلم مهما كان صغر سنه، ومهما كانت خبرات المتلقين، ندوات حول الدعم النفسي لأطفال الحرب، التعايش المشترك والسلمي، إنهاء الحرب والمفاوضات، عناوين كثيرة لا حصر لها في حين ينتظر المتدرب فرصة شرب الشاي، والتدخين والأهم من ذلك وجبة الغذاء الدسمة، في الحقيقة كل كلام المحاضر ليس مهماً بالنسبة لأغلبهم.

2 ـ التدرج

تمرير الصعب عبر جرعات خفيفة طويلة الأمد نوعاً ما عبر وسائل اللعب على الألفاظ، وتعويد المتدربين المتلقين «البراغيث» عليها كي تكون وسيلتهم مستقبلاً للحديث في الندوات، أو في جلساتهم بين الأصدقاء، هذا التدرج سياسة فعالة تتخذها أغلب المنظمات لتخفيف الصدمة.

3 ـ المختصون

تعتمد أغلب المنظمات على أصحاب الخبرة في الإقناع، والحوار من خلال تدريبهم على برامج معينة أعدت مسبقاً لهم، وإخضاعهم لتجارب عملية من خلال طرح أسئلة كثيرة قد يطرحها الجمهور عليهم، مع دورات مكثفة أيضاً في الحفاظ على التوازن والابتسامة وقبول الآخر ونقده، في حين يستفيد المحاضر مسبقاً من المشاكل التي على الأرض ولديه كل الحلول التي أعدت مسبقاً لها ضمن برامج هذه المنظمة.

4 التأجيل

التلاعب بالوقت، وإقناع المتلقي بحل هذه المشاكل، والقرارات المستقبلية في حينها «غداً سيكون أفضل» معتمدين على زيادة عدد المتلقين في المرات القادمة، ومخاطبة المتلقي بعقلية الطفل من خلال المشاعر والعواطف وتدخل العقل بوقته.

5 ـ الصدمة

استخدم الطبيب النفسي الكندي «ايوين كاميرون» صدمات كهربائية على أدمغة المرضى النفسيين لبرمجة عقولهم، ومحو كل ما فيها حيث يعود العقل الادراكي للمريض «صفحة بيضاء» لكن الأمر يختلف في عمل المنظمات بطريقة استخدام هذه الصدمة النفسية، فهي تجري على أصحاء وطريقة صدمهم بواقع مؤلم، ومخاطبة مشاعرهم عن طريق استغلال كارثة إنسانية، ووضعها في دائرة الحوار والبحث عن الحلول، في حين يقدم المتدرب بعض الحلول نتيجة للمناقشات التي يطلبها المحاضر من الحضور، ويبدأ في تفصيلها والطلب من كل صاحب فكرة شرحها وإغناءها للجمهور، تكون كل تلك الأفكار قد جمعت، وقدمت للمنظمة لدراستها مستقبلاً والاستفادة منها في عملية السيطرة القادمة على «البراغيث» الجدد الذين سوف يتم استهدافهم في الندوات القادمة مع بعض الحلول المدروسة بدقة متناهية.

6 ـ النتيجة

تأطير الإنسان ضمن دائرة واسعة تضيق شيئاً فشيئاً حتى لا تترك له مجالاً لمحاكاة عقله خارج حدود النظام الداخلي لتلك المنظمة كي يكون «برغوثاً» فاعلاً في المجتمع من وجهة نظرهم، الهدف الأساسي في القضاء على مبادئ الثورة السورية وحراكها القوي، وإضعافه قدر المستطاع، ونقله من ثورة شعبية عارمة إلى ثورة محاضرات وأعلام ورايات ومحاضرات وبالتالي المرحلة الأخيرة، القبول بمفاوضات مع القاتل بحجة إنهاء الحرب والتقليل من مصائب الناس ونسيان دم الشهداء والتفاوض عليه.

تنويه: لا يشمل الأمر كل المنظمات حيث يعتمد الأمر على الجهة الداعمة.

بسام الملك وفوضى الائتلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة أعضاء الهيئة العامة للائتلاف الوطني السوري
بعد التحية ،،،

إيماناً مني بضرورة العمل على وقف نزف الدماء السورية وبقاء وطننا الغالي للسوريين وخروج الغرباء منه وبعد أن أثبتت السنوات السابقة بما لا يدعو للشك ان الارتهان للخارج لمن يسموا اصدقاء سورية كان مصيدة كبيرة حاصرت جميع الاحرار ومن نادوا بالإصلاح ، ضمن قفص ذل المعيشة والهمويات الرخيصة وفساد المفسدين.

قررت العودة للوطن لأضع يدي مع الحرّين منه والعمل معهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وإعادة إعماره بحجره وبشره.

وعليه فإنني أعلن انسحابي من الائتلاف داعياً الله عز وجل ان يختار الخير للجميع.

2017-8-13

بسام الملك

قبل فترة انتشرت رسالة بخط اليد مكتوبة من السيد بسام الملك عضو الائتلاف الوطني لقوى الثورة فحواها انسحاب من الائتلاف وعودة لحضن النظام تحت مسمى معارضة الداخل برعاية ميس كريدي وتعاون كبير من سفارة النظام العاملة في العاصمة المصرية القاهرة، هذه العودة التي شكلت في توقيتها وفي معانيها ضربة جديدة في جسد الائتلاف المثخن بالجراحات الناجمة عن ممارساته وأخطائه التي باتت أكبر وأكثر من أن تُحصى.

يعود السبب الرئيس لهذه الخطوة إلى قطع الائتلاف للبدل المالي الشهري الذي كان يناله السيد بسام الملك، وذلك ضمن سلسلة من الإجراءات التي اتخذها الائتلاف للتقنين المالي ما بين إغلاق مكاتب تمثيل في عدد من الدول وتخفيض رواتب العاملين في مكاتب أخرى وهو الأمر الذي استشعر فيه السيد بسام نهاية العلاقة ما بينه وبين الائتلاف.

دخل بسام الملك إلى الائتلاف كعضو في تجمع الديموقراطيين الذي أسسه ميشيل كيلو، حيث كان واحداً من 22 عضواً كانت تتشكل منها كتلة الديموقراطيين في الائتلاف، إلا أنه وفور دخوله حاول التقرّب من الشيخ معاذ الخطيب مستغلاً كونه تاجر دمشقي معروف، وهو الأمر الذي استفاد منه لاحقاً أثناء وبعد رئاسة الشيخ معاذ من خلال الوظيفة التي كان يشغلها في الائتلاف كمدير للعلاقات العامة في مكتب الرئيس من خلال مكتب القاهرة، ومن ثم توظيف أحد أبنائه كمدير لمكتب مدير مقر القاهرة.

لا يمكننا بطبيعة الحال تحديد الاتجاه الفكري لبسام الملك حيث كان متقلباً قريباً من المصلحة، فتارة يكون في صف الصلاة الأول في مقر الائتلاف وتارة تراه ليبرالياً على أحد الشاشات يهاجم الإسلام السياسي، لكنه بكل تأكيد كان قريباً من قيادة الائتلاف في كل مرة كونه كان عضواً في اللجنة السياسية للائتلاف وهو الأمر الذي حافظ له على دخل ثابت من الائتلاف بالإضافة إلى تركيز الائتلاف عليه في الظهور الإعلامي المأجور الخارج من مصر من خلال ترشيحه وحيداً لهذا الدور.

كان لبسام الملك عدد من الزيارات منذ ما يقارب السنة لسفارة النظام في القاهرة، وفي أحد هذه الزيارات حصلت مشادّة بينه وبين حرس السفارة كونهم لم يسمحوا له بالدخول بداية لكنه دخل بعد ذلك ليجلس أكثر من ساعتين، وبرغم علم الائتلاف بهذه الحادثة إلا أن أي إجراء لم يتخذ بهذا الخصوص.

يعاني الائتلاف منذ انتهاء ولاية الرئيس الأول الشيخ معاذ من أمراض متعددة جعلت منه جسماً فارغاً من أي مضمون، وذلك على خلفية انتشار عقلية المحاصصة والاستتباع بين أعضاء الائتلاف قبل أن ينتقل هؤلاء الأعضاء من ولائهم للثورة إلى ولاءات أخرى لدول وأجهزة مخابرات وللنظام ربما، وهنا لا نعمم، ولكن نتحدث عن حالة باتت أكثر وضوحاً اليوم من أي يوم مضى.

فقد الائتلاف من خلال مسيرة عمله حلقات مهمة ساهمت الدول في قطعها، الأولى الحلقة مع الأرض برغم محاولة التواصل مع الأرض عبر الحكومة الانتقالية التي أسسها لكنه فشل في تحقيق هذا التواصل، الثانية كانت الحلقة مع الحراك العسكري وذلك من خلال فشل مشروعه المسمى قيادة الأركان، الثالثة كانت مع الدول العربية عندما تم نقل مقر الائتلاف من القاهرة إلى إسطنبول وهو الأمر الذي أفقد الائتلاف دعماً كبيراً وثقلاً سياسياً كان من الممكن له أن يستغله بشكل أفضل، وهنا تبرز عقلية المحاصصة التي أدت لاتخاذ هذا القرار الذي أفقد الائتلاف الشرعية الوحيدة التي كان قد حصل عليها عبر إعطائه لكرسي سوريا في الجامعة العربية، الرابعة كانت مع دول العالم التي تعامل معها الائتلاف بعقلية التابع فكان أن استغلت هذه الدول هذا وفرضت عليه مواقف وتصرفات كلفته وكلفتنا الكثير لاحقاً.

كان الائتلاف بحاجة ماسة لعملية اصلاح منذ ثلاث سنوات على الأقل لكنها لم تتم لذات الأسباب وهو في هذه المرحلة يمر بمرحلة موت سريري بانتظار اجتماع الرياض المقبل الذي من الممكن أن يكون المكان الذي سيعلن منه وفاة الائتلاف بانتظار تأليف جسم سياسي جديد ربما.

متاهة السوريين في ظل المحرقة الكبرى

أحمد العجيلي

لم يشهد العالم المعاصر مأساةً حقيقية كتلك التي تشهدها سورية منذ ما يزيد على ست سنواتٍ؛ كما لم يشهد السوريون أنفسهم مأساةً كتلك التي عاشوها طيلة السنوات الست المنصرمة؛ فمن الأعداد الضخمة لقتلى الحرب الدائرة في سورية، إلى الكم الهائل من المعتقلين والمغيبين قسراً في سجون النظام أو حتّى سجون داعش ومثيلاتها، إلى ما يزيد عن سبعة ملايين من النازحين واللاجئين في دول الجوار أو ممن وزعتهم يد القدر في أربع رياح الأرض، تتجسد المأساة السورية وتتجلى بأبشع صورها على مرأى العالم المتحضر ومسمعه.

لا تنتهي القصص التي تحاكي مأساة السوريين أينما حلّوا، حتّى في بلاد اللجوء التي قصدوها متجشمين مخاطر البحر، ومشقّة الوصول إلى واحات الأمن في القارة العجوز، تجدهم يحملون في حقائبهم جميع الأمراض التي أصابتهم وعانوا منها جرّاء ما شهدته أعينهم من ويلاتٍ لا يمكن لمخلوقٍ تصورها أو حتى التكهن بطبيعتها القاسية إلى هذا الحد. ولعلّ أهم ما يعانيه السوريون اليوم هو ذاك الفصام الداخلي الذي يبدو واضحاً للمرء في أول لقاء له مع سوري نازح أو لاجئ خارج أرضه؛ من بين تلك القصص التي يتناقلها السوريون فيما بينهم يومياً هي قصة لجوئهم إلى أوربا، والانقسام اليومي الذي ساد حياتهم طيلة السنوات الست الماضية.

ففي البداية كان الانقسام بين المؤيدين للثورة والمؤيدين للنظام، ومن ثمّ طرأت معايير كثيرة بات على السوريين الانقسام تبعاً لهذه المعايير، منها مثلاً بين المؤيدين للتيارات الإسلامية المعتدلة منها والمتطرفة، والمؤيدين لمبادئ العلمانية والديمقراطية الحديثة، ومنها أيضاً المؤيدين لتركيا وقطر، وآخرين مؤيدين للسعودية وباقي دول الحصار الخليجي. بالطبع لا تنتهي مشكلات الانقسام السوري، وخاصة ما تشهده التجمعات السورية في دول اللجوء داخل القارة العجوز.

في الشهر الماضي قامت إحدى المجموعات على الفيسبوك بإجراء إحصائيات لحالات الطلاق بين السوريين، وحالات العنف الأسري التي نتج عنها حسب قوانين تلك البلدان فصل الأب والأم عن الأطفال، وفي حالات أخرى انتزاع الأطفال من عائلاتهم ووضعهم في مراكز إيواء خاصة بهم، أو لدى عائلات أخرى تهتم بهم وتعمل على رعايتهم بعيداً عن عائلاتهم الأصلية التي تمارس ضدّهم في كثير من الأحيان أساليب غير قانونية في التربية المنزلية، حسب قوانين ورأي السلطات الحاكمة في تلك البلدان. وضمن تلك الاستبانة التي أجرتها مجموعات سورية مدنية نشأت حلقات للنقاش بين السوريين سواء داخل التجمعات الافتراضية على وسائل التواصل الاجتماعي أم الواقعية داخل مجالسهم التي عادةً ما تكون في أحد المساجد أو الجمعيات المدنية التي تم إنشاؤها إبان موجة اللجوء الأخيرة قبل عامين أو ثلاثة.

إحدى العائلات المنكوبة بانتزاع أطفالها منها نتيجة أخطاء في التربية داخل المنزل، ترى أنّ الهدف الرئيسي من استقبالهم في أوربا وتقديم التسهيلات لهم هو هذه اللحظة التي يسرقون منهم أطفالهم، ويأخذونهم بعيداً عن عائلاتهم، ويقومون بتنشئتهم حسب الثقافة الأوربية والمعتقدات المختلفة عن دينهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ وبالتالي هدفهم الوحيد هو الأطفال ولا حاجة لهم باللاجئين، فهم دولٌ لا تنجب، وبحاجة إلى أجيال شابة تضخّ الحياة في مجتمعهم العجوز. يقول أحد السوريين على وسائل التواصل الاجتماعي: «تذهب إلى المجمع التجاري في أي مدينة ألمانية، وتشتري أشياءً يزيد ثمنها على مائتين أو ثلاثمائة يورو وفي النهاية يسألك البائع إن كنت تريد شراء كيس لتضع حاجياتك فيه، وبالطبع هذا ثمنه خمسون سنتاً! ويتساءل متابعاً تعليقه: «إذا كان هذا الشعب الذي تشتري منه بمائتي يورو لا يعطيك كيساً ثمنه خمسون سنتاً، فكيف يمكن أن أصدق أنهم يساعدون اللاجئين، ويقدمون لهم معونات مادية ويدفعون لهم كل ما يحتاجونه ريثما يتمكنون من العمل والاعتماد على أنفسهم. بصراحة لهم غاياتٌ وأهداف لا نعرف ماهيتها، ولا يمكن أن يقدموا لنا المساعدة هكذا دون مقابل».

من جهة ثانية يصطف الفريق المقابل لهؤلاء من السوريين، ولديهم تصورهم المغاير لحالة اللجوء داخل أوربا؛ فهم يرون في الطرف المخالف لرأيهم أنّ نظرية المؤامرة تسيطر على عقولهم، وأنّ الشعب الأوربي يمثل الإنسانية في أرقى صورها، ولا ينفي هذا حدوث بعض التصرفات الفردية التي لا تمثل كافة الشعوب الأوربية، وأنّ ما قدمته أوربا من خلال فتح أبوابها للاجئين واحتضانهم لا يقدّر بثمن، في الوقت الذي أغلقت فيه الدول العربية والإسلامية أبوابها أمام السوريين، وراحت تطاردهم في لقمة عيشهم، وأنّ من الواجب على السوري المقيم في هذه المجتمعات أن يراعي قوانين وعادات هذه الدول، وأن يحترم طبيعة وجوده كضيف ولاجئ هارب من الحرب، وأن يسعى إلى الاعتماد على نفسه، وتدبير أموره في العمل كي يتمكن من تأسيس حياة جديدة يسودها القانون والعدالة الإنسانية في أبهى صورها.

وبين مؤيدٍ ومعارضٍ تستمر التراجيديا السورية داخل دول اللجوء، ولا تنتهي تساؤلاتهم حول واقعهم ومستقبلهم، وبالطبع حول ماضيهم الذي خسروه. إلا أنّ من أكثر التساؤلات جديّة وتستحق الوقوف عندها، هي: كيف لدول العالم أن تمارس دور الشاهد على المحرقة السورية دون أن يكون لها موقفٌ أقوى من مجرد تقديم أوراق لطالبي اللجوء، أو تجنيس بعضهم وتوطينهم بعيداً عن بلدهم الذي يريدون؟! وكيف لهذا المجتمع المتحضّر أن يبقى واقفاً موقف الحياد إزاء هذا الكم الهائل من القتل والدمار الذي تشهده سورية؟ وماذا يستطيع أن يقدّمه هذا العالم المتحضر للسوريين عدا تلك الأسلحة التي تجود بها شركاتهم على المتحاربين في سورية، وتستمر في تجريبها على أشلاء السوريين؟!

كثيرةٌ تلك التساؤلات التي فرضت على السوريين هذا الانقسام الحاد في مجتمعهم، وكبيرةٌ هي تلك الضغوط التي عانى منها، وما يزال معظم السوريين داخل وخارج سورية، ومن الطبيعي أن يتعرضوا لصدماتٍ نفسية كبيرة هزّت شخصياتهم وجعلتهم منقسمين على ذاتهم؛ إلا أنّ الثابت في هذه المحرقة التي يشهدها العالم أنّ السوريين كانوا ضحية مؤامرة كبرى يجري التخطيط لها منذ زمن، وأنّهم دفعوا الفاتورة الأكبر لهذا المشروع القادم، وسيدفع غيرهم باقي المستحقات من أجل إعادة تدوير الأنظمة المتهالكة، وبناء دويلات جديدة قامت على أشلاء السوريين والليبيين واليمنيين، وستحكمها دكتاتوريات جديدة بمسميات جديدة تحت رعاية دولية قديمة.

الإسلام: الفقه والسياسة

قصي الهويدي

جرت العادة على النظر إلى الدولة/ السياسة باعتبارها امتداداً «طبيعياً» للدين، وأحد تجلياته المباشرة، الأمر الذي أدى إلى سحب «القدسية الدينية» عليها، ومنحها صفة «التعالي» وجعل من العسير نقدها، ناهيك عن رفضها أو محاولة اقتراح بديلٍ لها. وكنتيجةٍ مباشرة لذلك؛ أخذت شكل الديمومة والثبات، والإيمان بأنها (مثلها مثل الدين) صالحة لكل زمان ومكان، وأنها هي الحل/ الخلاص لكل مشاكل البشر (وليس فقط الأمة)، وباتت أية محاولة للاقتراب منها، محسومةً سلفاً، ومحكومةً بالفشل منذ البداية.

ولكن!

إذا كان الدين متعالياً ومقدساً، فإن «الفقه» ليس كذلك، فهو بشري؛ خاضعٌ لأفهام الرجال، وردُ الإمام علي بن أبي طالب على الخوارج، هو خير ما يمكن قوله: «القرآن بين دفتي المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال».

إذاً؛ فلنقارب الموضوع من زاويةٍ مختلفة، علّنا نحصل على نتائج مختلفة هي الأخرى.

هنا سنرى إلى الفقه بصفته أحد التجليات المباشرة لعملية «فهم الدين»، وليس هو الدين المنزه بذاته. إن أية فكرة/ نظرية ذات طابع «انتظامي» عام؛ لا بد أن يكون الموقف منها، منذ لحظة التشكل الانتظامي/ السياسي الأول، متنازعٌ عليه لأوجهٍ شتى؛ يمكن اختزالها في أربعةٍ عامة:

- إما إخضاع الواقع لها؛ دون وسيط.
- أو إخضاع الواقع لها؛ من خلال وسيط.
- أو إخضاعها هي للواقع؛ كما هو.
- أو الفصل التام بينها وبين الواقع؛ والتعالي بها .

لنقارب التجربة الإسلامية «السياسية» من هذه الزاوية، دون الالتزام بالترتيب أعلاه: فمنذ اللحظة الأولى لنشوء الدولة في الإسلام (بمعناها الإمبراطوري) تبلورت أربعة مواقف سياسية في «نظرية الحكم»، ثلاثة منها أسست لمدارس وتيارات فقهية، أما الرابعة فاكتفت بالرفض لكل ما سواها؛ دون تقديم بديل.

فتباينت ما بين:

- لزوم خضوع السياسة للدين/ للإمام، وبالتالي؛ فالحكم لرجال الدين، وهذا موقف «الشيعة».
- الفصل ما بين الإمامة والإمارة، وترك الدين دون إمامٍ منصوص عليه، بل تم إخضاعه للأمير/ ولي الأمر، وبالتالي؛ ترك الحكم لرجال السياسة، وهذا موقف «أهل السنة والجماعة».
- ترك الدولة/ الدنيا، وعدم التدخل في شؤونها أبداً، والاهتمام فقط بالدين، وهذا موقف «المتصوفة».
- أما الرابع، فهو موقف «الخوارج» والذين اكتفوا برفض الحاكمية، وقولهم بأن «الحاكمية لله» دون تقديم تصور عملي لتلك الحاكمية المتعالية.

فإذا كان ذلك كذلك، وسواءً أكان المنطلق فقهياً لتأسيس السياسي، أو كان العكس (أي أن المنطلق كان سياسياً لتأسيس الفقه) نرى بكل جلاءٍ؛ تلازمهما تلازماً لا فصل له، ولا فكاك منه، وهذا يترتب عليه نتيجتان متناقضتان:

- أية محاولة لفصل «الدين عن الدولة» ستكون نتيجتها هدم الأساس الفقهي للمذهب، وبالتالي؛ فمصيرها الفشل.
- كل ما أنتج من خطاب، لتأصيل المذاهب وفقهها؛ هو خطاب سياسي بامتياز، ولا يستند في قدسيته إلا إلى رغبة أتباع هذه المذاهب في السلطة.

طبعاً مع ملاحظة أن «المتصوفة» ابتعدوا عن ممارسة السياسة بشكل مباشر، لكن ابتعادهم هذا بحد ذاته سلوكٌ سياسيٌ محض، مما يجعل النتيجة الثانية؛ تنطبق عليهم أيضاً، كما تنطبق على المذاهب الأخرى.

(كما يجب التفريق ما بين الموقف الفقهي الصوفي، وما بين الممارسات المحدودة في بعض دول شمال أفريقيا، وكذلك تمييز الموقف الفقهي للتصوف الصرف وتمييزه عما دعي بالتصوف السني مرفوعاً إلى «أبو حامد الغزالي»، والذي أخذت به الدولة العثمانية).

نعم؛ هناك إخضاعٌ مباشرٌ للفقه من قبل السياسة، وتبعيةٌ كاملةٌ لها، وليس العكس، كما يروج الفقهاء.

يبقى أن نضيف: أن ما نملكه من سردية «النشوء الأول» للإسلام؛ هي فقط ما وصل إلينا من التدوين العباسي وما بعده، وهي مرحلة مليئة بالتناقضات السياسية وصراعاتها، وتنازع الأهواء فيها. فكم حريٌ بنا التنبه وعدم الوقوع في هذا «الفخ الفقهي» الجلي.

نباهة طبيب..!

د. عبد القادر العلي

توجهت إلى مدينة غدامس في أقصى الجنوب الغربي من ليبيا عند ملتقى الحدود التونسية الجزائرية. مدينة صحراوية صغيرة تنقسم إلى قسمين، قديمة ترابية مسوّرة فيها واحة نخيل، وقسم آخر حديث بناها لهم معمر القذافي مجاناً وأسكنهم فيها. فيها عدد من التخصصات في معهد عالي ومعهد متوسط ومستشفى ضخم فيه عدد من الأطباء الأجانب من مختلف الدول. بعد دوامي في المعهد العالي لأشهر سمعت عن وصول دفعة جديدة من الأطباء الأوكرانيين وممرضات بوسنيات.

كنت أتردد إلى المشرف الصحي الذي يقيم في سكن المشفى، وهو السوري الوحيد في المدينة. إحدى المرات وجدت عنده طبيب أطفال أوكراني يحاول تعلم بعض الكلمات العربية لتسهيل تعامله مع أهالي الأطفال، وحين عرف أنني أتقن الروسية طلب مني المساعدة فأبديت رغبتي في مساعدته، وصرت أتردد إليه في غرفته لأشهر حتى صار يفهم كيف يسأل عن حال الطفل ومما يشتكي، وعن أكله وشربه...

زرته كالعادة في العطلة واشتكى لي من وباء أصاب أطفال الجزء الغربي من المدينة، وحار في السبب الذي يجعل الأطفال ترتفع حرارتهم ويتقيؤون مع وهن يرافق هذه الحالات. يوم السبت استدعاني عميد الكلية، وطلب مني الذهاب معه الى المشفى للتفاهم مع الطبيب الأكراني. استغربت الطلب، ومع ذلك ركبنا السيارة ووصلنا للمشفى، وإذ بمديره الذي يحمل شهادة تمريض لسنتين من يوغسلافيا آنذاك يصرخ بوجه الطبيب، ويوبخه بجملٍ نابية. تدخلت في الموضوع وسألت الطبيب الأوكراني عن المشكلة فأجاب: أنه طلب من مدير المشفى حفارة لحفر المجارير في المنطقة الغربية من المدينة لقناعته أن سبب مرض الأطفال جرثومة لا توجد إلا في المجارير الصحية ويريد الكشف عنها لأنها بالتأكيد انتقلت من المجارير إلى مياه الشرب في تلك الجهة من المدينة.

بعد أخذ ورد بيننا الأربعة، ومحاولة إقناع مدير المشفي بفكرة الطبيب. اقتنع المدير على مضض، وهدد وتوعد الطبيب إذا لم يكن السبب كما يقول سيفصله من العمل، ويلعن الساعة اللي تعاقد فيها مع الأطباء الأوكران. اتصل مدير المشفى بمدير البلدية وطلب منه حفارة على وجه السرعة، فعلاً، وصلت الحفارة بعد ربع ساعة وتوجهنا جميعاً برفقة الطبيب إلى الحي الذي قدم منه جميع الأطفال. سأل المدير الطبيب من أين نبدأ الحفر يا دكتور؟ أجابه الطبيب من نقطة افتراق الخطين باتجاه الحيين الغربي والشرقي. بدأت الحفارة بالحفر وبانت الأنابيب المصدية والمهترئة، أنبوب الصرف وأنبوب المياه المتجاورين، وكلما لامست الحفارة أحدهما كان يصب في الرمل تحته. بدأت ملامح وجه الطبيب تتغير الى ثقة زائدة بموقفه على عكس وجه مدير المشفى الذي بدأ تظهر على وجهه علامات الخيبة. كانت الأنابيب قريبة من سطح الأرض، وبعد أن حفرت الحفارة قرابة الخمسين متر، جاء أحد الليبيين وسأل عن سبب حفر الأرض؟ قال له المدير نبحث عن مكان تسرب الأنابيب، قال القادم، أمام بيتنا صارت بحيرة منذ مدة وأخبرنا البلدية ولم يهتموا بالأمر. قال المدير: وقفوا الحفر، بإشارة من يده لسائق الحفارة وطلب منه اللحاق الى بيت المذكور، وصلنا إلى هناك، وفعلاً كانت المياه قد طفت على السطح، جثا الطبيب على ركبتيه ليقترب من الماء وشمها، رفع رأسه وقال هنا الخراب. تقدمت الحفارة ونبشت المكان قليلاً حتى ظهرت نافورة من المجرور الصحي لتغوص في الرمل وتختلط مع أنبوب مياه الشرب المهترئ. التفت عميد الكلية إلى الطبيب وقال له برافو أنت طبيب فهمان، وطلب من مدير المشفى الاعتذار له، قال مدير المشفى باهي باهي بعدين نشوف إذا كانت الأنابيب هي السبب. قال الطبيب يومها موجهاً كلامه لي لأترجمه حرفياً لمدير المشفى، قال ما بدي اعتذار من شخص لا يفهم إلا اذا شاف بعينه إني أقدم استقالتي من الآن. في الواقع لم أترجم ما قال، بل ترجمت عندي وقلت لمدير المشفى لا يهم الاعتذار بقدر ما يهمه صحة الأطفال.

في تلك اللحظة مزق مدير المشفى ورقة كانت بيده لا أدري ما هي، فيما بعد علمت من عميد الكلية أنها كانت قرار طرد الطبيب من عمله. مساءً، ذهبت للطبيب وأقنعته بالبقاء، ونحن نناقش موقف مدير المشفى. دخل وصافح الطبيب. طلب منا الذهاب إلى بيته وكان قد أعد عشاءً ودعا إليه مجموعة من وجهاء المدينة، وأشاد بموقف الطبيب واعتذر له على الكلمات التي بدرت منه في الصباح.

الكاريكاتير

مصطفى السليمان

سرعة البديهية والقدرة على التقاط المفارقات السياسية والاجتماعية والثقافية - كشف العيوب -الفكاهة - التبسيط هو ما يميّز فنان الكاريكاتير أو الرسام الساخر. وإذا كان الشعر فن الرسم بالكلمات فإن فن الكاريكاتير هو فن الكلمات المرسومة بأسلوب مبسط ومختصر وبخطوط واضحة وصريحة، ويمكن اعتماد بعض الكلمات للإشارة أو الدلالة لمعنى الحدث وقابلية التأويل، والكاريكاتير على العموم هو فن يومي لارتباطه بالصحف الرسمية اليومية في كل العالم، وهو من أكثر الفنون انتشاراً إذ تُعتبر الرسوم رسائل محددة من الفنان إلى المتلقي، وباعتبار الفنان متمرد بطبعه على الواقع ككل، والسياسي منه يأخذ الحيّز الأكبر من انشغال الفنان لأنه هو الملهم له دائماً في الموضوعات التي يتناولها كقضايا حقوق الإنسان وفساد السلطة، وحتى عيوب المجتمع المغلوب على أمره، والصامت حيال حقوقه المستلبة من السلطة الأمنية الحاكمة. وبهذا يصبح أي رسم هو لسان حال الناس كمنشور مغاير يفعل فعلاً تحريضياً ونقدياً أقوى من الكلمات.

في الثورة السورية أخذ فن الكاريكاتير ينتشر بسرعة إلى أبعد من الإضحاك إلى مجالات أوسع للتفكير والتبصر فيما يحدث من حولنا من أهوال، كأنها القيامة من قتل وتدمير وتهجير وتشريد ونزوح ولجوء، وإلى خطب سياسية تهمّش الثورة، والإنسان السوري. لم يكن هذا الفن محايداً، بل انحاز للمجتمع بهدف توصيل رسالته إلى العالم. هذه الرسائل رغم قساوتها كانت تثير في المشاهد نوبة من الضحك لاعتمادها على مفارقات كان يدلي بها ساسة العالم عبر خطبهم حول رأس النظام السوري مثل (ذيل الكلب حسب التسمية الرسمية الروسية وحيوان حسب التسمية الرسمية الأمريكية). ومن بان كي مون القلق دائماً مما يحدث في سورية إلى النظام السوري حين يتحدث عن حقوق الإنسان في سورية التي لم يترك فيها حجراً على حجر..

والفنون بشكل عام أقوى من السلاح وأمضى، إذ تحتل العقول والوجدان وتؤثر بقوة في تغيير أنماط التفكير والسلوك الإنساني، والأنظمة الشمولية تتحسس كثيراً من كلمة الثقافة، وتعتبرها جريمة يجب محاربتها بالحديد والنار، ولم يقف النظام السوري عاجزاً عن ذلك إذ لاحق الأدباء والفنانين الذين انحازوا للثورة وعبروا عنها بجرأة وصدق، وفضحوا نظام القتل والإجرام، والفنان أكرم رسلان الذي استشهد تحت التعذيب في أقبية نظام الأسد كان صامتاً إلّا في رسومه الصارخة والفاضحة التي تناول فيها رأس النظام وآلة القتل.. والفنان العالمي علي فرزات الذي كسرت أصابعه وشوّه وجهه لانحيازه لمطالب الشعب بالتغيير وكثيرون ما زالوا مغيبين في سجون النظام منذ الأيام الأولى للثورة. ومن نجا من آلة البطش والقتل لا زال مستمراً في انجاز أعمال فنية تتناول الثورة السورية من كل الجوانب محلياً وإقليمياً ودولياً، إما عبر صحف الثورة أو من خلال شبكات التواصل الاجتماعي منهم على سبيل المثال موفق قات - ناظم الصغير -جوان زيرو - هاني عباس - ياسر أحمد - عمر غالب، وما يلفت الانتباه أكثر كاريكاتير ولافتات كفرنبل وهذا ليس اسم فنان بل اسم مدينة سورية في محافظة إدلب، والتي اشتهرت برسومها ولافتاتها التي عبرت من خلالها عن الثورة السورية، وهي تقدّم عملاً فنياً لكل حدث سوري موجهاً للعالم حيناً وبلغاته وللسوريين أحياناً. رسوم تضامن مع كل المدن والمحافظات السورية متجاوزة كل الخطوط الحمر التي تلفّظ بها السياسيون وأصحاب القرار منذ بداية الثورة السورية حتى باتت هذه الخطوط تثير الضحك والألم معاً.

قهوة الجنرال..!

آرام كرابيت

رغم إيماني بأن جسد الأنثى مقدس، خطر، لا يُمس، غير أني بدأت أتنازل عنه عضواً بعد آخر، حتى أصبح لحمي كله ملكاً له. ولا أعرف كيف ضحيت من أجله بتلك اللحظة التي تعتبرها الفتاة لحظة مصيرية في حياتها.

إن هذا النص يعبر عن مشهد مركَّب بلغة أدبية محكمة، مستخدماً البعد الثالث في رسم معانيه وأهدافه. ولا تخلو كلمة أو جملة من صور متعددة الألوان، منسجمة ومتناقضة، متداخلة ومتنافرة في الآن ذاته محاولاً إلفات القارئ نحو منظومة تقبل الشك كما تقبل اليقين، وبهذا يتحقق البعد الثالث في محاكمة ذهنية تجذب المعنى إلى حافة التعدد ومساحة التأويل.

يخيل للمرء أن النص يتحدث عن فتاة مقبلة على الحياة بيد أن الأمر مختلف تماماً، إذ السرد الروائي يتحدث عن مشهد على خشبة المسرح، على أرض الواقع داخل الزنزانة وعن الجدار الأسود العازل الذي يفصل بين الحقيقة والوهم عامداً متعمداً في تأثيث حكاية الهاوية: «كان المكان أبكم بلا نوافذ، يصلح للاغتصاب فقط.. وكان الضوء خافتاً».

إن الانتقالات الفنية من موقع إلى آخر في المشهد الواحد، داخل النص الروائي الواحد، متداخلة بحرفية عالية: الرمز في الواقع، الظل في النور، الفجر في الشفق، إنها أشبه بلوحة فنان يعرف مزج الألوان بدقة متناهية، ويوزعها على مساحة البياض الذي يشي بالأشكال داخل المخيلة لتصبح بعد ذلك مساحات لونية تضج بالحياة. أو يهب لرتق اللون الواحد أبعاده في ظله ونوره، ليحوله إلى متعدد، متضارب ومتماهي في بعضه البعض.

هذا التداخل يحارُ القارئ أمامه إلى درجة التحريض والاستفزاز، ويأخذه من راحة باله وسكينته إلى عالم الفن، المركب ويسير معه من حالة إلى أخرى، فيقع في أسر النص الساحر وفاعليته من حيث محاولته القبض على الزمن والمكان: المسرح، الواقع، وحركية الحياة وتناقضات عالم الإنسان والطبيعة.

في هذا الفضاء النصي المتحرك، يتساءل المرء: أيهما النور، وأيهما النور والظل؟ ومن هو الرجل ومن هي المرأة؟ ومن هو القواد ومن هو الجنرال؟ ومن هي العاهرة ومن هو نقيضها؟ وهل يتحدث عن المسرح أم الزنزانة؟

يحول الروائي مشهد الاغتصاب إلى قطعة فنية على خشبة مسرح عائم، تتراقص عليه الإضاءة ما بين الأبيض والأسود الحالك، بين الألم الذي تسببه عتمة الزنزانة والإضاءة المعتمة على الخشبة.

إن النص مملوء بالرموز والدلالات، فيحار المرء بين ما هو المتخيل وما هو الواقع.

عرى الفاشية من خلال استدعاء الشاعر الإسباني لوركا، ووضعه فوق خشبة المسرح كي يحقق اسقاطاً فنياً يلبي رغبة السرد الروائي في محنته وجمالياتها كما أنه يعبر بحدة، عن عري فاشية الأنظمة العربية وتحولاتها في حماية نفسها من طوفان الحرية، وهو يشير هنا إلى النظام السوري. وكأن الواقع هو مجرد مشهد على المسرح: وزنزانة الجنرال وزمنه، زمن الإنسان المكسور، المستلب والمهزوم ليربطه بزمننا ليخفف علينا ثقل الواقع. إنه يلسعنا بإبر مدببة لينطقنا، ليطرح علينا السؤال: ماذا يعني أن يبقى الإنسان في زنزانة عفنة تكثر فيها الفئران متسلقة فوق الأجساد الواهنة في عتمة دامسة.

ونتساءل بحدة ونريد إجابة شافية: من يتحول إلى مسخ على خشبة المسرح، الحياة، الجنرال أم نقيضه؟ الواقع أم القناع. إن التجسيد بين الأنا الحقيقية والمتخيلة يبقى مستمراً مع النص إلى النهاية. وبين الظل وظله وربطه برباط محكم بين القواد والجنرال والعاهرة والواقع، بين الكذب والحقيقة.

«أقول في نفسي وهي تتراقص أمام الكلمات التي تنتقل من موضع إلى موضع»

ما أجمل الأدب عندما يشحن ذائقتنا الفنية بالألم اللذيذ والفرح. بذاك الوجع المفتوح على الجرح الذي علاه الملح ورتق الألم المزمن دابأ كالنمل المتوحش فوق جلدنا ومشاعرنا وأنفاسنا ورؤيتنا: يفضح شكلنا وحقيقتنا، كذبنا وزيفنا. ونقول لأنفسنا: لماذا يحدث لنا ما يحدث؟ ثم نعود لنقول إنه عقل الإنسان، حقل التناقضات الذي يسمح بالدخول إلى عوالمه المتعدد، بجماله وقبحه. نقرأ النص الروائي ونتأوه ونتوجع ونتألم ونشعر بالحسرة في اللحظة ذاتها:

«كان ممثلاً معروفاً، يقف وحيداً فوق خشبة المسرح، تلك القطعة السوداء من الليل، كما كان يحلو له أن يصفها، تلك التي تزينها القناديل، وتتراقص على جدرانها الأشباح.. كان وقتها يتقمص روح لوركا ويمد يده للضوء الباهر في تلك الزنزانة المرتفعة.. كان رجلاً جميلاً، وكنت قد تخطيت سن المراهقة بنجاح كبير، وأصبحت ناضجة للخطيئة، مثيرة للرغبات. وعندما التقينا، طلب مني أن أرافقه إلى سرير الشوك، فوافقت. كان يكره الذهب والفضة، ورضيت أن يكون خاتمي وأساوري من التنك المزخرف وتاجي ومجوهراتي من الحجارة الكاذبة.. وضع الخاتم في إصبعي».

هذه مقاربة مستقلة بين الواقع وعالم لوركا والغجر، عالم الأحرار الذين يكرهون الأماكن الضيقة والجدارن المغلقة. يكرهون كل أشكال السلطة والدولة والحدود والحواجز. وعالم الجنرال وحدوده وسلطته وأقبيته المظلمة، بين الأسر والعبودية من جهة والحرية من جهة أخرى، بين النور والسلام والقيد.

وهناك من ينقر رأسي:

هل المسرح والواقع مجرد خيال؟

وهل هي مصادفة في مسرح مغلق تتقمص فيه الأجساد أرواح الشخصيات أمام المشاهدين؟

إنها انتقالات صادمة من موضع إلى آخر: «لم أكن ممثلاً، ولم نلتق فوق الخشبة إلا إذا كانت تعتبر الحياة خشبة كبيرة».

ثم ينتقل نقلة نوعية ليعري واقعنا الأليم:

«على مرتفع بائس من الأرض، يفتح رجليه كي يطوق خصر المدينة الملوث بالسخام. وينتقل في السياق ذاته ليقول:

ما لن أنساه أبداً أنني كنت في ثياب النوم.. حافياً مقيد اليدين مخفوراً بالحراس المسلحين، داخل سيارة زيل عسكرية. ويكمل:

وتقول لي إنها شهقت حين سقطتُ. وتقول إنها رفعتني وتركتني أعيش داخل القلب. داخل إطار في القلب. داخل قلب في إطار من خشب منخور شبه منحرف.. ومنذ ذلك الجدار وحتى الآن، وأنا أعيش هناك وحيداً؟ لا أعرف كيف أصافح؟ لا أعرف كيف أرد التحية للعابرين؟ أنا الذي رفض الاعتراف بأنها هبة الليل، وأنها التقطتني من الشارع وأخذتني بسيارة بلا نوافذ إلى زنزانة منفردة بلا أضواء ولا أهواء. أنا الذي حرت كيف أراها: مقفرة كزجاجة فارغة؟ أم خيمة تمشي على أعمدة من عاج؟ قنديلاً مطفأ؟ أم بدراً يتنفس في كيس أسود؟ أم وردة عارية تتباهى بأعضائها التناسلية أمام الرجال؟

كيف نستطيع قراءة هذا النص؟ وكم وكم إسقاط أضفي عليه؟ كيف نلتقطه من بين سطوره ونضعه على الطاولة ونشرحه قبل أن يشرحنا. من هو النص؟ نحن أم النص ذاته؟ هل هو عاشق شبق يلهث خلف ممارسة القذارة؟ أم ماذا؟

من له قدرة على تفكيك النص المتعدد القراءات والتأويلات في رواية رمزية أو مغرقة في رمزيتها، متداخلة الأبعاد، حداثية بامتياز، بيد أنها لا ترهقك، بل تجعلك مستمتعاً بوجعك، تتفرج على جسدك الممزق، مسرحك، وجودك، وهو يتمزق بين يديك، وتضحك بملء إرادتك على ذاتك المسحوقة والمستلبة.

في الحقيقة لا أستطيع أن أمر على كلمة دون أن أتوقف أو أشهق لأتزود من مجريات الأحداث، حدث وقع لي، لك، لهذا الوطن السوري، المثقل بالجراح وما زال.

..»قهوة الجنرال، نص روائي للكاتب المسرحي السوري غسان جباعي الذي نال جائزة المزرعة للعام 2014 عن هذا النص ونشر عبر دار النون ـ الإمارات. تقع الرواية في مئة وتسعة صفحات».

أنثى الرماد إبداع جديد للجزائرية مهرية بن زرارة

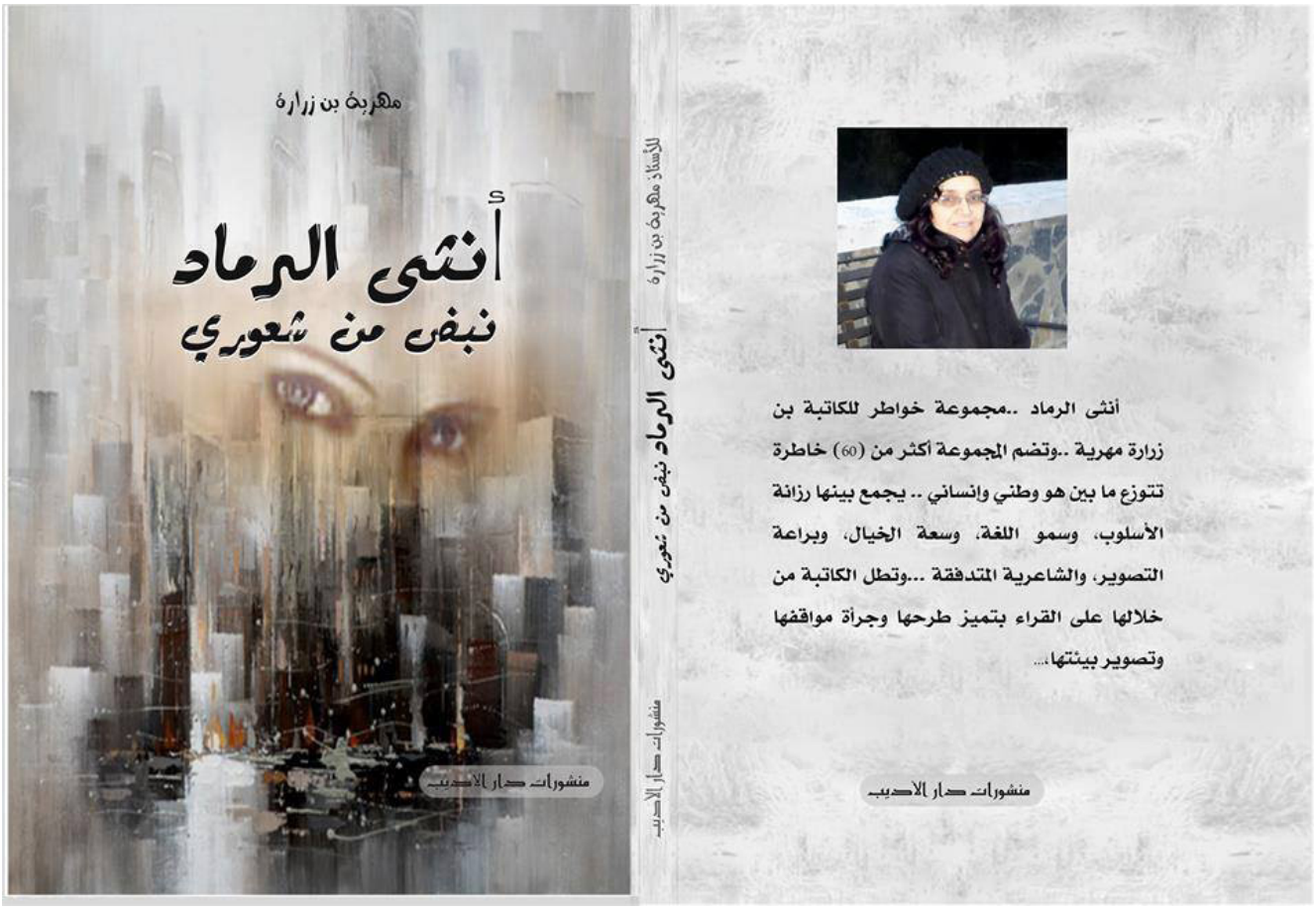

صدر للكاتبة الجزائرية مهرية بن زرارة كتاب جديد عن «منشورات دار الأديب» بعنوان «أنثى الرماد»، وهو السادس في سجلها الإبداعي، وكانت قد أصدرت سابقاً ديوان «قال جدي طاش العيار»؛ و«على رصيف الدم والدموع»؛ و«جراحات وأوجاع»، و«جدي ضمير لا ينام»، و«نوفمبريات»، ولديها العديد من المخطوطات المحققة. تتنوع أعمالها بين الشعر والخاطرة، والتأملات؛ خصوصاً في فن المقال والقصة الشعرية، كما شاركت مع لفيف من الكاتبات الجزائريات بإصدار كتاب بعنوان «من أجل أطفال سوريا»، وتم رصد ريع مبيعاته للأطفال السوريين.

و«أنثى الرماد» مجموعة مكتملة من الخواطر، تضم ستين خاطرة، تتوزع ما بين الوطني والإنساني، ويجمع بينها رزانة الأسلوب، وسمو اللغة، وسعة الخيال، وبراعة التصوير، والشاعرية المتدفقة، التي تطل بها الكاتبة على القراء بتميز طرحها، وجرأة مواقفها، وتصوير بيئتها، إضافة إلى اشتغالها على تداعيات الربيع العربي، ففي هذا الإصدار حضور طاغٍ لمعاناة الأشقاء السوريين، وتصوير ما يلاقونه من قتل وتدمير وتهجير ونزوح.

الأديبة مهرية بن زرارة من مواليد عام 1962 قرية خميسة الأثرية «تاكفارناس» حالياً؛ وهي من أعمال مدينة سدراتة ولاية سوق اهراس؛ وتقيم بالقالة ولاية الطارف، ونشأت في بيئة تتميز بطبيعتها الخلابة، بما تحتويه من جبال وسهول تكتسي خضرة دائمة، وتنعم بخيرات البساتين وسهول مزروعة بالقمح والشعير، وهو ما أغنى حياتها، وأضاف إلى تجربتها الأدبية الثراء والتنوع.

تلقت علومها الأولى بمدينتها، ثم انتقلت إلى جامعة عنابة؛ وفيها أتيح لها تحصيل قدر لا بأس به من اللغة العربية وآدابها؛ وعززت شخصيتها الأدبية؛ ورسمت ملامحها الإبداعية الأولى، وعملت في مجال التدريس بعد تخرجها سنة 1986 ونيلها شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، واستطاعت أن تنقل أحاسيسها على الورق، وتعيد رسم مفردات الحياة بتأصيل متجذر يرتكز على عراقة الماضي، وينهل من تجليات الحاضر، لتعيد تشكيل الواقع بأبهى صوره.

بن زرارة من الأديبات اللواتي وقفن مع الشعب السوري في محنته الكبرى، وانتصرت بجرأة للحرية والكرامة، وكانت من اللواتي كرسن جهداً كبيراً لمعاناة السوريين، خصوصاً ما يتعلق بحقوق المرأة والطفولة، وكانت من الأصوات الجزائرية العالية التي استطاعت تجسيد الوجع السوري، ونقل هذه الصورة المؤلمة إلى الأوساط الجزائرية والعالمية.

يذكر أن الأديبة مهرية بن زرارة خصّت صحيفة الحرمل بالعديد من المقالات الأدبية والقصائد الشعرية، وتواصلت مع كادرها، وشاركتهم الأفكار، وناقشت ظروف حياتهم القاسية منذ بداية انطلاقة الحرمل وإلى حين صدور هذا العدد.

الرقة الحلم..!

عبد القادر ليلا

في رواية الخيميائي للكاتب باولو خويلو التي تحكي عن راعي أغنام شاب يسرح بأغنامه في سهول اسبانيا، وكلما ألّم به تعب لجأ إلى بيت مهجور يسند رأسه على حجارتها ويغط في نومه، وفي إحدى الليالي حلم أن هناك كنز قرب الأهرامات، وتكرر الحلم عدة مرات فقرر بيع أغنامه والانطلاق نحو تحقيق الحلم ترك قريته واتجه نحو الجنوب. قطع البحر من ناحية جبل طارق. وصل إلى مراكش سُرقت أمواله. عمل نادلاً في مقهى ليجمع مبلغاً يكمل به رحلته، ومن ثم تابع عبر الصحراء الكبرى وتاه بها وكاد أن يموت عطشاً لولا العنايات الإلهية. وصل الى السودان عاشر الملوك وصادق السلاطين. عرف الحب وذاق لوعة العشاق، ولكن الحلم بالكنز بقي في نفسه. ترك الملذات والخلان وتابع نحو الشمال إلى الارض التي رآها في حلمه وعندما وصل نحو النقطة المحددة، وكانت الليلة مقمرة وبينما كان يحفر باحثاً عن حلمه، أحاط به مجموعة من اللصوص يريدون سرقة ماله ومتاعه وهنا سأله زعيم اللصوص عما يبحث في هذه الصحراء فقص عليه صاحبنا الراعي قصته وقصة حلمه. هنا غرق في نوبة من الضحك وقال للراعي هل البيت المهجور يطل على وادي قال أجل، ووصف له زعيم اللصوص الحجر الذي ينام عليه وشكله.

استغرب الراعي وقال كيف عرفت ذلك..

قال وأنا أيضاً أشاهد باستمرار حلماً أن الكنز مدفون تحت هذه الحجرة

العبرة لي من هذه الرواية كسوري أن وطنك هو كنزك فلا تخدعك الأحلام والحقيقة الكاملة هي أرضك وبين أهلك والبقية كلها بدائل عن أوهام

تحضرني هذه الرواية ونحن في الذكرى السنوية الرابعة لصدور مجلة الحرمل التي ولدت في المنفى في الأرض التي ظننا أننا سنحقق فيها ما حلمنا به من حرية وعدالة وكرامة.

حلم حملناه معنا من الرقة تخيلنا أننا سنحوله إلى حقيقة. حلمنا كان يشبه حلم كل السوريين بوطن حر.

كم أتمنى أن تنطلق الحرمل بعامها الرابع من هناك حيث ينمو نبات الحرمل، تقاوم الرياح والعواصف من هناك، من بين بيوت الرقة المدمرة، ومن حاراتها المهجورة من بين شطآن الفرات لتحيي هناك ذكرى الشهداء الذين بقوا حراساً للذكريات وتعيد الأمل في مستقبل أبنائها الذي هو قريب مهما طال الزمن.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 67 YIL: 4 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa